تيمة المدينة في الشعر الجزائري الحديث

The city theme in modern Algerian poetry

أ.د/ مجيد قري

مخبر المتخيّل النقدي المعاصر والدراسات الحداثية في الفكر واللغة والأدب

جامعة الحاج لخضر– باتنة2 (الجزائر)

madjid.guerri@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2022/12/04 **تاريخ القبول: 2023/01/20**

ملخص:

احتل حضور تيمة المدينة حيزا غير قليل في الشعر الحديث، وقد تفاعل الشاعر العربي حديثا مع الوافد الغربي في موضوع حضور المدينة، وجنح فيه للسوداوية والحزن.

اخترت البحث في تيمة المدينة وما احتلته من حيز لافت في المتن الشعري الجزائري الحديث. ولم يكن الهدف من الدراسة إحصاء حضور تيمة المدينة في الشعر الجزائري بقدر ما كان يهمنا قياس تجارب بعضهم في الكتابة، والتي تراوحت بين تكرار صدى أصوات تجارب غربية أو عربية، وبين رقي بعضها لقراءة التوظيفات السابقة ووعيها ثم محاولة تجاوز محاكاتها. خلصت الدراسة إلى التعريف بعديد من مدوناتنا الشعرية وما تكتنزه من قيم جمالية ومضامين والتعريف بذواتها المبدعة، وكيف قرأت الآخر وأبدعت –بعضها– في كتابة نصوصها وصياغة نماذجها الشعرية بحس وجودي إنساني لافت لم يجعلها تتخلف عن ركب التجارب العالمية.

الكلمات المفتاحية: تيمة المدينة، الشعر الجزائري الحديث، التجربة الشعرية، الرمز، الدلالة

Abstract:

The presence of the theme of the city occupied a significant place in the modern poetry. Recently, the arabic poet interacted with the western newcomer on the subject of the presence of the city and misdemeanor it melancholy and sadness.

I choose to make research to discuss the city's theme and the remarkable space it occupied in the algerian modern poetic text.

The study doesn't aim computing the presence Of the theme in the Algerian poetry as much as we were interested in writing which ranged from the repetition of the voices echoes of western or arab experiences and between the sophistication of some of them to read and understand the previous uses, then try to overcome their simulation.

The research concluded by introducing many of our poetic blogs and their aesthetic values and contents, and how some of some of them understood the other and created in writing their creative selves and how some of theme read the other and created in writing their texts and formulating their poetic modals with noticeable human existential sence that did not make them behind the world class.

***keywords*:** city theme, modern Algerian poetry, poetic experience, symbol, indication

مقدمة:

احتل حضور المدينة حيزا غير قليل في الشعر منذ القديم، فمن ذكرها وذكر تاريخها وعراقتها ورثائها، انتقل الشعر إلى الحديث عنها وعن ثنائية الريف والمدينة والمفاضلة بينهما ثم عرج إلى الحديث عن الإنسان والمدينة، وما تمثله المدينة من رمز للحداثة والمعاصرة وتعقيدات الحياة ، ومانجم عنها من اغتراب وضياع وعدم احساس الإنسان بإنسانيته فيها عندما انهارت القيم الإنسانية النبيلة فيها وتراجع الروح والقيم لحساب المادة.

والمدينة حاضرا لم تعد حيزا يملأ الفراغ بساكنيه فقط، ولقد (طال وقوف الشعراء المعاصرين عند المدينة الحديثة – وكثيرا من هؤلاء ريفيي الأصل والمنشأ– وتحدّثوا عن آثارها النفسية والاجتماعية في الإنسان وروابطه الانفعالية والسلوكية والفكرية، وقد رأوها جهمة قاسية القلب، لا ترى إلاّ المادّة والمصلحة الأنانية، وصوّروها وحشاً بزي جديد فيه الآلة

والسّبل المساعدة له ، وهذه المدينة إن بدت معجبة فوراء البهرج الأخّاذ، فهي فتْك أشدّ لإنسانية الإنسان)[1].

قرأ الشاعر العربي حديثا تراثه، وتفاعل مع الوافد الغربي في موضوع حضور المدينة وكان مثلا لإليوت وجنوحه للسوداوية والحزن وآخرين كلما ذكروا المدينة وعناصرها حضور في أشعارهم.

(أخذ الحديث عن المكان في الشعر العربي أبعادا مختلفة، بحسب الزوايا التي عالجته من جهة، وبحسب الفهم الذي أنيط به من جهة ثانية، وبحسب المرجعيات المعرفية المتنوعة من جهة ثالثة. فهو ينأى بنفسه أن يكون مجرد مكان جغرافي، أو مجرد حمولة تاريخية أو بعدا حضاريا، أو ذاكرة شعبية، بل هو تلك الأشياء جميعها منصهرة في بوتقة الذات المبدعة ووعيها الجمعي وحالاتها النفسية المتغيرة والمتجددة أبدا.

فالمكان، إذاً، ليس هو ذلك المعطى الخارجي المحايد الذي نعبُرُهُ دون أن نأبه به، وإنما هو حياة. ويذهب باشلار "إلى أنّ المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذا أبعاد هندسية فحسب فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي، بل بكل ما في الخيال من تحيز، إننا ننجذب نحوه لأنه يكثف الوجود". فليس ثمة وجود بدون مكان. ويستدعي وجودُ المكانِ وجودَ الإنسانِ محور ذلك الوجود. والعامل الشاهد واقعيا على مشهد الحياة. وتتنوع الأجناس الإنسانية بتنوع المكان. إذ يصطبغ الإنسان بمكانه، ويعكس مزاج بيئته ومواصفاتها ومواضعاتها وتركيبتها النفسية)[2].

ومن الدراسات التي تناولت المدينة في الشعر العربي[3] نجد: المدينة في الشعر العربي المعاصر لمختار غالي أبو غالي، المدينة في الشعر العربي الحديث لعبد الله رضوان، اتجاهات الشعر العربي المعاصر "لإحسان عباس" والذي شرح فيه صاحبه موقفه من المدينة، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهر الفنية والمعنوية لعز الدين إسماعيل الذي تضمن فصلا عن الشاعر والمدينة، صورة المدينة في الشعر العربي "لزهير عبيدات" والذي رصد فيه تجربة الشعر العربي من المدينة والكشف عن صورتها وموقفه منها، في حداثة النص الشعري ودراسات نقدية لعلي جعفر العلاق، تناول الكاتب في أحد فصوله الشاعر والحلم. والمدينة، والمدينة في الشعر العربي – الجزائر نموذجا لإبراهيم رماني .. وغيرها.

وفي الشعر الحديث نماذج حيّة، عكست بعض الحياة المعاصرة، وبعض الوباء الذي أصاب الحياة والمدينة، فكان الشاعر من أولى الضحايا. لذلك جاءت جلّ الأشعار التي ذكرت المدينة ذات مسحة حزينة سوداوية مؤلمة مليئة بالوجع والبحث عن الحلم الضائع المفقود. فكانت أشعار السياب، الحاوي، والبياتي وصلاح عبد الصبور وعبد المعطي حجازي وغيرهم، كانت من النماذج الصّادقة التي توسّل بها الشاعر اللغة، وحاول أن يكون مرآة لهذه المدينة ويتفاعل معها.

كان لحديث إليوت وآخرين عن المدينة ومظاهر الحزن واليأس والبؤس فيها، وبعدها تجارب الشعراء الرواد من مثل : السياب، صلاح عبد الصبور وعبد المعطي حجازي ومحمد الفيتوري ... وغيرهم، كان لهذه النبرة ذات الحس المأساوي وهذه المسحة، وما تأتى من أحكام عن واقع المدينة وفلسفة محتواها حضور قوي في المتن الشعري الجزائري.

والشاعر الجزائري لم يقف بمنأى عما يحدث حوله وكان (للمدينة في الشعر الجزائري المعاصر مكانة خاصة مثلما هي في الشعر العربي كله، إذ قلما نجد شاعرا لم يكتب عنها أوفيها، سواء كانت مدينة يسكنها، أو التي زارها أو التي ولد فيها أو المدينة التي تسكنه[4].

- **نماذج لحضور تيمة المدينة في الشعر الجزائري الحديث:**

سنحاول التوقف عند كثير من النماذج الشعرية الجزائرية التي سجلت حضورا للمدينة أو عنصر من عناصرها مثل الشارع والطريق والرصيف والعمارة...وغيرها لنبرز بعض التجربة الجزائرية، وكيف حاكت أو تفاعلت مع ما تأتى لشعرائها من احتكاك وتفاعل وقراءات.

يقول الشاعر عبد الله حمادي عن المدينة عندما جعلها معادلا موضوعيا عكس بها معاناة إنسانية وجودية ويغرقها في الهجر والدماء:

(مدينتي مهجورة الآباء والأبناء
أزهار قد سقيت دماء
دماء، دماء، دماء)[5]

في الشعر الجزائري المعاصر حاول "حسين زيدان" نقل هذه الصّورة ، وعكس الصّورة التي ارتسمت له عن هذه المدينة الواقعية الجديدة ، وما حاكته للإنسان من صور الانفصال عن العذرية والعذوبة والريف أين البراءة والطهر:

(دعامات عرش المدينة معروفة "أربعة":

فوجه يسُوس

ووجه يدُوس

ووجه يجُوس

ووجه عبُوس

فكن مع من شئت في جعبة الأصل

أو إمّعة)[6]

غدت المدائن في الشعر العربي والجزائري واجهه حزينة وحمراء ومليئة بالأسى، والشاعر "أحمد شنّة" يجعلها سوداء مظلمة تعكس الجو الكئيب الذي يطغى على الشعراء، ويرون المدينة متجهّمة تريد النّيل من ذويها:

تهاوت قبضة الجـراح واعتنـــقت هوى حمّالة الأشواك والحطب

غفونا والذباب على الجفون مدينة سوداء كم جنّت من العجب[7].

الشاعر عياش يحياوي وآخرون لم يتخلفوا عن ذكر الأحزان وشؤم المدينة وقلة حيلة الإنسان الراهن فيها، يقول:

لا شيء في المدينة غير أحزان المدينة

الناس ماتوا من زمان واختفى صوت المدينة

زمن كأشباح ثوانيه كأنصاب المدينة

آواه وانقلبت مقاييس الوجود بذي المدينة

الكل مات : البحر واليح والمعلب والمدينة

حتى الفضاء حدوده انكمشت وضاعت المدينة[8]

(تجلت المدينة في الشعر الجزائري المعاصر بشكل رمزي وفي فترات متقاربة لاحتراقات الشاعر وعذاباته النفسية والاجتماعية والسياسية خاصة في ظل الظروف التي عاشتها الجزائر في فترة السبعينات أو في الثمانينات والتسعينات، إذ شكل الخوف من المدينة هاجسا كبيرا للشعراء نظرا للإحباط واليأس الذي كان يعاني منه الشاعر. وهذه الصورة السوداوية تكررت كثيرا في القصيدة الجزائرية المعاصرة)[9].

"عبد الرحمان عزوق" يحتضن المدينة وعرش المدينة قائلا:

أُدين المدينة كل صباح
وأحمل عبء القلوب
وفوق الرصيف الذي يتصنع سيره
أخاطبه بلسان هُذيل
وأنشر في سيره عطر حزني
....
توّد المدائن لو أنّ صوتي يدنو
ويسمع رغم ضجيج العيون
...
سأعبر رغم العيون
ولكنّي سأموت شهيد الحقيقة
وأرسم وشم المعاناة فوق المدينة[10]

بالرغم من إدانة الشاعر للمدينة، وشوارع المدينة وأرصفتها وضجيجها .. إلاّ أنّ المدينة رغم كلّ شيء ما زال فيها بعض الحنين لساكنيها (تودّ المدائن لو أنّ صوتي يدنو) والمدينة والشاعر يرجوان أن تضمّهما علاقة يحاولان فيها اختزال بعض المعاناة التي كانت والدّجى الذي عمّ المكان رغم مصابيحها. وربّما كانت مدينة الشاعر التي يرجوها منحصرة في الخروج (من المدينة الواقعية (التاريخية) إلى المدينة الحلمية (الحضارية))[11]، وأراه حلما مشروعا للشاعر لأنّه ملّ الأسمنت والرصيف، وملّ الفراغ والضياع والغربة!.

أدرك "أزراج عمر" ثقل وعبء المدينة وبأنها مثقلة بأجزاء الحزن والآلام ولكنه لم يفقد الأمل فيها، لذلك نجده في الأسطر الموالية يحلم، ولا يكفّ عن الحلم ويستجدي البحر والماضي الزّاهر الذي لم تدنّسه الأيادي ومايتمناه أن يعود الحلم؛ حلم المدينة التي يستعيد فيها الإنسان آدميته، وينفض عن المدينة بعض عبوسها وحزنها وهي مدينة الحلم في مقابل الواقع الذي تنكّر لكل قيمة، وصنع له أصناما وعكف على عبادتها وتقريب القرابين لها:

يا أيها البحر يا مرآتنا القديمة الجديدة
أحلم بالمناضلين يرجعون في الصباح والظهيرة
ليقتلوا الزانية العقيمة
ويزرعوا الرايات في المدائن الحزينة[12].

لكل شاعر مدينته، ولكل مدينة قوانينها وحِسابها وحِراكها وعِراكها، وقد(تألم الشعراء المحدثون من المدينة كما تألموا من أجلها في تجربة البحث عن مدينة فاضلة ممكنة في الواقع أو الأحلام). فنشدوا مدنا، وشيدوا عمرانا، وأسسوا لخلاص وثورة على مدنهم الواقعية:

فالحب في مدينتي في شهره الحرام
والشهر في حسابنا
تسعون ألف عام[13]

ولا يكتفي الشاعر بنشدان مدينته أو البحث عنها، بل قد يتقمّصها ويغدو هو المدينة:

أصير مدينة
ولا شيء يرحمني لا النعاس، ولا الشجر المرتعش
يعيش بداخل عينيّ، يا شجر الحلم أوْرِق
على جبهتي، وتألق
كواكب الورد
تشعّب على جسدي وشم مقهى
.....
ولا شيء يرحمني إلا النعاس، ولا الشجر المستريح
يمدّ جناح الرّضا في مدينة قلبي الرهينة [14].

إذن (مدن الشعر ليست المدن الواقعية فحسب، بل ما تبدعه الذات المتخيلة ، فلكلّ شاعر مدينة تحيا بأعماقه، وهي لا تتطابق بالضرورة مع مدينته الحقيقية .. ليس المكان الفنّي أبعادا هندسية وحسّية خارجية. إنّما صورة جمالية تبدعها الذات وتضفي عليها من ذاكرتها الحضارية التاريخية أبعاداً لا نهائية)[15].

تعلق الشاعر عبد الله حمادي بمدينة قسنطينة وعشقها وخلدها في أشعاره، ولم ينقطع عن ذكرها وذكر أسرارها وماآلت إليه:

قسنطينة اهتزي فجمعك حافـــل ومجـدك مأثور وشـعبك باسل
فمالي أرى طيف السكون مخيــما وليلك مكحول ونجمك آفل
بمن يهتدي ركب الأحبة في السرى وبدرك منهوك العزائم هـــازل
ألست التي كنت المنارة والــهدى لمن تاه في بحر الظنون يماطل
ألست التي خلدت مجدا وغيـــره وذكرك معسول وفضلك ماثل؟
فكانت وكان العلم فيها كـشعلة وكانت وكان العز فيه يشاكل)[16]

قد يضيف الشاعر رمز المدينة إليه فتصبح (مدينتي ومدينتنا) في شعره، يقول "عز الدين ميهوبي" مثلا:

كانت مدينتنا مدينهْ
شعرها يمتدّ من .. حتّى .. إلى ..
حتى ترى عينيك شاطئها
ترى صحو المدينهْ
كانت ..
ولكن الرؤى كانت حزينهْ
الناس من صمت المدينة والمسافة قد أتوا ..
الناس من صمت والمدينة والمسافة[17]

فهذه التراكيب التي تراوحت بين الإضافة والتكرار والحذف توحي بحالة الشاعر المضطربة في المدينة أين الشعور بالضياع والغربة والوحشة!.

"سليمان جوادي" أيضا يتحدّث لنا عن مدينته بصيغة المتكلّم، ويتحدّث عن الجرح ويخاطب مدينته ويعترف بأنّه غرسها في صدره مذ كان صغيرا وبأنه يحفظ لها الودّ والحبّ معاً، فماذا حفظت له هيّ!. يقول :

ونمْتِ على جرحنا ما استفقْت
غرستك في الصّدر مذ كنت طفلا
فيا لله ماذا تراك غرسْتِ !![18]

ويزيد "جوادي"* ملامح أخرى من ملامح مدينته، وكانت أكثر سوداوية عكست مدينة الصخب والتناقض والغربة التي أشار إليها كثير من الشعراء المعاصرين في كثير من قصائدهم. يقول:

مدينتنا تفتح اليوم أبوابها
للتتار الشعوبي
تحصي المحبين تخْصي المحبين
تبدع آخر صيحاتها في التبرّج
تنكث عهدي وعهد الملايين من جلدتي[19]

وقد تلتصق المدينة بضمير المخاطب فتصبح (مدينتكم)، تبرأ منها ومن تناقضاتها وويلاتها، وممّا نالته من إنسانية الإنسان وشرفه وحريّته. وهذه امرأة من ضحايا هذه المدينة تنقل بعض المأساة . يقول "عبد العالي رزاقي":

أنا امرأة أغرقتها مدينتكم في الضياع
فصارت لكلّ الرعاع
وها أنا أعترف الآن
.....
أقرأ ما بين خطوط الكفّ أن المدن الكاذبة الآن تهاجر
مع الطير[20].

مدينة "عياش يحياوي" (وحش صناعي وعذاب قذر وموت حزين. مكان للإنحلال والضياع) [21]. وعناصرها (الشارع، المقاهي، الرصيف)، وكل ساكنيها أصبحوا دمى فقدوا الحياة. تبدو عامرة لكنّها ضاقت بساكنيها. فأصبح الواحد منهم رقما واختفت جميع القيم فأعلنها الشاعر تساؤلا محيّرا بعد ما قاله عن المدينة: أين تمشي ذي المدينة ؟ وهو بذلك ينقل حيرته إلينا لإشراكنا هم ضيق المدينة معه:

لا شيء في صمت المدينة غير أحزان المدينهْ
الناس ما توا من زمان واحتضن صوت المدينهْ
أمن كأشباح ثوانيه.. كأنصاب المدينهْ
والشاعر المخمور .. نهر من أباطيل المـدينهْ
خمرا كسولا .. والرّصيف جنازة عبر المدينهْ
هل أنت كائنه: .. وأسأل لا تجيب دمى المدينهْ
(كلّ مات .. البحر والريح المعلّب و المـدينهْ
حتّى الفضاء حدوده انكمشت وضاعت في المدينهْ
الليل مدّ جناحه الونسـان واختفـت المدينهْ
إلاّ المصابيح الضباب كأنـها قيم المـدينهْ
متسكع فيها السكون .. مسافر هو والـمدينهْ
للأمس للغد ..لست أدري أين تمشي ذي المدينة[22].

ويبقى حضور المدينة والشارع في شعر عياش يحياوي رمزا وحياة اللامعنى والعدم، فقد فَقَدَ الإنسان فيها كثيرا من أسباب وجوده، ولم يعد الشاعر يستطيع الحراك، بل صار في شوارعها مصلوبا.. والخراب واليباب يأتي على الأخضر واليابس ووجه الرّماد يغزو المدينة.

ذات الليل حملت وجهي وسـافر ت شريدا أحدو ركـاب الجنون
شارع أطوي عمره كفـــــنـا دا مي المرايا وشـارع يطويـــــني
أمعن البحث في الوجوه فـلا أبـ صرفي عمقها سوى روح الطيـن
المدى راعش الشـــــفاه و أيّـا مي حيارى والنّار تغزو جبيـني
كلّ آه تمتدّ في الشـــــارع المذ بوح إزبـــاد كـوكـب مجنـــــون

سرت في شارع المدينـــة مصلو باً ووجه الرّماد يغزو المـــــدينة
ودروب تراقـص العـــهر في خلـ جانــها فهــي أفلــك مجنونــة
هكذا سرْتُ في المدينـة لا وجـ هاً أراني ولا شراع سفـــــينة[23].

الشاعر يناجي المدينة النائمة ويرجوها الاستيقاظ، فكثيرا من الآمال عقدها ساكنوها عليها، فهي أمهم الحنون التي تأويهم وتحويهم، ولا يجب على الأم أن تتنكّر لأبنائها ولصوت أولادها:

كانت عشيقة الصمت تجول في الشوارع
تطرق كهن الحلم .. تعزف الأنغام والقيثارة
في يدها ، تسكن لفتة الحجارة
أراك يا مدينة
لم تسمعي السفينة
تركض في عباب هذه الشوارع التي ترفض أرجل الخيانة
استيقظي من نومك الطويل يا مدينة[24]

الشاعر يبقى واصفا للوجه المتجهّم لمدينته، ويرجو لها وجها أكثر إشراقا ونبلا.

الليل يطرد الشعاع في شوارع المساء
والعاشق الجريح ينزف الدماء
ويكتب الأشعار في دفاتر البكاء
الريح هبّت لتطارد السماء
.....
أحلم يا مدينتي بعودة النّسور[25]

والشارع والشوارع والزحام والزحمة من الألفاظ التي غدت رموز المدينة، ففيها تظهر حياة الناس وسعيهم الشاق، وضياع الضعيف بين الأقدام المسرعة وغير المبالية، وضجيج لا يعبأ بأي أنغام رقيقة أو نداء لملهوف[26].

جروة علاوة وهبي يقول:

وأنا في أزقة المدينة أبحث عن سوق الكتب
وأسمع في الشارع الملطخ الجبين
حكاية منمّقة
من رجل سمين[27]

الشارع أيضا عند "حمري بحري" الذي أثار الذّعر في ذويه، ينتقل ليخيف نفسه ويصبح شارعا مذعورا لهول ما ارتبط به من صخب وعذاب وضياع:

في صمت هذه الجدارْ
في حلف هذا الجدارْ
والشارع المذعورْ
ينشق صوت يابس
يصرخ : آه..!
يا زمن الرشوة والجاه[28]

الشارع كذلك (رمز العبور الإنساني يتحوّل إلى غول وقطعان كهوف معتّمة.. والتصوير الشعري يتشكل بحدّة مرعبة حينما يتحوّل الناس إلى كتل زمنية مجوّفة)[29]. والشاعر يصف مدينته الموبوءة بشوارعها وجرائمها وكل متناقضاتها:

على كل شارع
تصير ظلال المجانين جامع
ويدخله العاهرون
ويخرج من ضلعه السارقون
.....
وفي ظلمة الليل أنشر نحو أعالي المدينة جفني
وأرفع سبّابتي .. شاهدا للجريمة كنت
وما زلت وردا على جمرة فاجعة[30]

والشارع أيضا يرمز للمدينة، وقد يغدو جزئية من تضاريس النفس إذا تمّت الوحدة والتجانس بين الشاعر والمدينة ... والشاعر قد يحسّ الغربة في مدينة لا تروقه، فيضعف نبضه وينقص نفسُه، وقد يستسلم ويسلّم روحه ولا شاهد على موته وحيدا إلاّ الشارع والشوارع، لأنّ الناس مستغرقون في النوم وبعضهم دمى، يقول "محمد زتيلي":

يبدو أني سوف أموت وحيدا
ملقى في آخر هذا الشارع
إن كنت تراني أحسن
قل لي
وادخل شيئا من أفراح الصبية قلبي
ملقى في آخر هذا الشارع
والشارع مزدان بالورد
بشعارات تشعل ليلا بالأضواء الصفراء
عفوك يا هذا
لا أقوى إلاّ أن أصرخ
سوف أموت وحيدا في أخر هذا الشارع[31]

الشوارع قد تصبح متعبة وعبئا، ولكن الشاعر يبقى يصدح ولو غزا الخريف بهاء المنظر وجمال المكان، يقول الأخضر فلوس:

من قال لشعر يأتي
وقد أتعبته الشوارع حين تنهّد فيها الخريف
وألقت بقايا النجوم بأوجاعها
واستكانت قوافل كانت محملة بالسيوف
إلى ضفّة للحنين مساء![32]

والشاعر لا يزال يؤمن بالمدينة وشوارعها وبريقها الذي لوّث، ولا يزال يرى الطيور تحوم حول المدينة ولم تهجرها، ويأمل في غد تحتضنها وتعود إليها.

قصدت أقاصي المدينة علّ الطيور التي هاجرت
صامتات الشوارع تأتي إليّا
ونادمْت صمت الحجارة حتى اطمئِن نفسي
بأني مازلت حيّا[33]

خاتمة:

وبتوقفنا عند كثير من النماذج الشعرية المقترحة لم نقصد إحصاء حضور تيمة المدينة في الشعر الجزائري بقدر ماكان يهمنا التوظيف الفني الجمالي للمدينة ورموزها وعناصرها المشكلة لتضاريسها من شارع وعمارة وطريق واسمنت ورصيف ... وغيرها.

ولقد اتجه كثير من الشعراء الجزائريين إلى المدينة واستوحوا منها كثيرا من الإيحاءات الدّالة على روح العصر. وغالبا ما عكست تلك التوظيفات الفنية مسايرة الشعر الجزائري للشعر العربي وتجارب رواده الكبار الذين تأثروا بدورهم بالشعر الغربي بشكل عام، واطلعوا على كثير من تجاربهم الشعرية الموغلة في الوحشة والعمق والسوداوية وبحور الحزن والتذمر من المدينة في أحايين كثيرة، وما عادت تعنيه للشعراء من ضياع وغربة ووحشة وعدم شعور بالأمان، والاتجاه للانسحاب منها وصنع مدن في مخيلاتهم يفرون إليها بحثا عن آمالهم وراحتهم، أو توق الريف أين البراءة والصفاء والهناء والراحة.

حاول كثير من الشعراء الجزائريين وعي كثير من توظيفات المدينة التي استوحوها من تلك التجارب الإبداعية التي تأثر أصحابها بدورهم بكثير من تجارب الوافد الغربي والعربي في توظيف تيمة المدينة وعناصرها، وغذوا بها تجاربهم الشعرية. وتراوحت تجارب بعضهم في الكتابة بين تكرار صدى أصوات تجارب غربية أوعربية، ولكن قابلها توظيفات شعرية أخرى سعت لقراءة التوظيفات السابقة ووعيها ثم محاولة تجاوز محاكاتها فيما استحضروه من رموز المدينة للتجديد، ومحاولة فلسفة بعض الواقع العربي والجزائري وسبغه بما تشربوه من تجارب الآخر التي قرأوها على الورق، وما عانوه من تجارب قاسية – هم وشعوبهم – في أوطانهم بتوسل استخدام الرموز.

وربما كانت تيمة المدينة ورموزها الأقرب لأذهانهم وتصوراتهم لبلورة بعض تلك المعاناة والتوق ثم السعي لتجاوز عتبة المحلية أملا في السمو بتصوراتهم ونصوصهم إلى تجارب وجودية إنسانية يخدمون بها راهنا، ويعبرون عن إحساس وقضية في قوالب جمالية فيها كثير من التميز والتجريب والتجديد.

الهوامش والإحالات

(1)– فايز الداية: جماليات الأسلوب(الصورة الفنية في الأدب العربي)، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990 ص 169.

(2)– مريم لحلو: المدينة في الشعر المغربي – ديوان الفروسية نموذجا، مجلة الكلمة، ع 32، أغسطس 2009. http://www.alkalimah.net/issues/list/68

(3)– ينظر: أميرة محارب العبيثي: المدينة في الشعر السعودي المعاصر في الحقبة 1979– 2004 (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى، السعودية، 2005، ص6 وما بعدها.

(4)– محمد الصالح خرفي: المدينة في الشعر الجزائري المعاصر، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، المجلد6، العدد 10، نوفمبر 2006.

(5)– عبد الله حمادي: قصائد غجرية، دار البعث، الجزائر، 1983، ص 75.

(6)– حسين زيدان: شاهد الثلث الأخير، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2002. ص113.

(7)– أحمد شنة: زنابق الحصار، شركة الشهاب، الجزائر، 1989، ص90.

(8)– عياش يحياوي: تأملات في وجه الثورة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983، ص13.

(9)– أحمد قيطون، عمر حلاسة: تيمة المدينة في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر، مجلة تقاليد، العدد 6 جوان 2014.

(10)– عبد الرحمان عزوق: أفاق في زمن النفاق، ص41.

(11)– إبراهيم رماني: المدينة في الشعر العربي – الجزائر نموذجا–، ص62.

(12)– أرزاج عمر: الجميلة تقتل الوحش، ص 62.

(13)– مالك بوذيبة: عطر البدايات، ص38.

(14)– ازراج عمر: .. وحرسني الظل!، ص35.

(15)– إبراهيم رماني: المدينة في الشعر العربي . الجزائر نموذجا . (1925. 1962)، ص5.

(16)– عبد الله حمادي: البرزخ والسكين، ص21.

(17)– عز الدين ميهوبي: عولمة الحب .. عولمة النار، ص 107.

(18)– سليمان جوادي: قصائد للحزن وأخرى للحزن أيضا، ص10.

(*)– للمزيد راجع قصيدة: مدينتي والعالم اليوم بخير، المصدر السابق، ص29، وما بعدها.

(19)– المصدر نفسه، ص25.

(20)– عبد العالي رزاقي: الحب في درجة الصفر، ص103.

(21)– إبراهيم رماني: المدينة في الشعر العربي – الجزائر نموذجا –، ص82.

(22)– عياش يحياوي: تأمل في وجه الثورة، ص13.

(23)– المصدر نفسه، ص 37.

(24)– ازراج عمر: الجميلة تقتل الوحش، ص60.

(25)– المصدر نفسه، ص59.

(26)– فايز الداية: جماليات الأسلوب (الصورة الفنية في الأدب العربي)، ص172.

(27)– جروة علاوة وهبي: الوقوف بباب القنطرة، ص62.

(28)– حمري بحري: ما ذنب المسمار يا الخشبة، ص98.

(29)– بشري البستاني : قراءات في النص الشعري الحديث ، ص62.

(30)– أزراج عمر: ... وحرسني الظل !، ص 39، 40.

(31)– محمد زتيلي: انهيار مملكة الحوت، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990، ص 71.

(32)– الأخضر فلوس: عراجين الحنين، ص47.

(33)– المصدر نفسه، ص50.